

حيوية الشعر الجديد بين كتابة الدفقة الأولى وآليات الاشتغال

السوشيال ميديا رفعت أسهم الإبداع اللحظي والقصائد الخاطفة



العفوية لا تنقذ الكتابة (لوحة للفنانة سارة شمة)

لكن الاشتغال على أساس مبدع شيء، وترقيع نصّ مهلهل نصياً وضعيف تخييلياً شيء آخر. وقال مازن "كلما ازدادت الذرّبة والخبرة والموهبة الإبداعية، خرج النصّ شبه جاهز إلى الحياة بحيوية لا يُغيّر من ماهيته النشر الرقمي في العالم الافتراضي، فالشعر المبدع هو نفسه في الرقمية وعلى السورق وفي العالم الواقعي".

عبد المنعم الشنتوف
الثورة الرقمية تسفّط الشعر بتحقيق انتشار أفضل لكن بشرط

إبتسام أبوسعدة
مواقع التواصل أصبحت مكاناً للعرض وللوصول الأسرع إلى القارئ

بلال المصري
في النشر الإلكتروني على المتلقي أن لا ينجرّف خلف المجاملات

محمد سمير عبدالسلام
تزايدت سرعة إيقاع الكتابة والنشر لكن التطوير الجمالي يناقش

مازن أكثم سليمان
الاشتغال على النص يتطلب نصاً أولياً مبدعاً أو يتحول إلى ترفيع

وشدد الشاعر السوري على أن ثوابت الإبداع الشعري لا تتغير في عصر الرقمية نوعياً؛ إنما شكلياً، وبقي الزمن دائماً عامل حسم وتصفية بين النصوص الأصلية والنصوص الطارئة السطحية، مهما طغى صخب الاستهلاك والإنتشار الإلكتروني، حيث تظل حيوية الشعر منوطاً بطاقة المبدع الأولية، وهي أشبه بطاقة عمودية ابتكارية تأسيسية، تتقاطع معها في مرحلة تالية طاقة أفقية مُرتبطة بالتشذيب والتدقيق والتقيح والتدخل الحاسبي، وهي أمور يتقلص دورها كلما كان الشاعر مدججاً بالخبرة والموهبة التي تحمي نصوصه من الاستهلاك المجاني، وتحفظ لها حيويتها، وتحميها من أسر السهولة المفرطة، وهم التّعين السريع.

ويذكر عبدالسلام في تصريح لـ"العرب" أن تطبيقات المحمول، وأجهزة الكمبيوتر المحمول، وانتشار المونات، والصفحات الشخصية، أسهمت في التعزيز من سرعة إيقاع الكتابة، والنشر، والتعديل المستمر أيضاً على ما تم نشره؛ وهو أمر واقع بالفعل، لكنه لا يعني حدوث عملية تطوير جمالي في بنية القصيدة؛ فهذا الأمر يحتاج وقتاً طويلاً من القراءات المنظمة لمدارس الشعر العربي، والعالمى، ومحطاته الرئيسية، وللحاصلين على جوائز نوعية في الشعر؛ مثل جوائز نوبل، وبوليتزر، وجائزة ت. أس. إليوت في الشعر؛ فضلاً عن متابعة الشعراء الذين مثلوا محطات نوعية في مسيرة الشعر العربي، والعالمى.

أما مسألة سرعة الكتابة أو العفوية، فقد وجدت بصور متنوعة في التيارات الحديثة الأداوية، والسوريالية، في سياق مختلف عن سياق التكنولوجيا الراهن. وكان للراحل مصطفى سوييف كتاب قيم في هذا المجال، تتبع فيه نشأة العملية الإبداعية في النفس وتطورها التدريجي عبر مقابلات، واستبيانات قدمها مع عدد من الشعراء، وعنوانه "الأسس الفنية للإبداع الفني" في الشعر خاصة، ولا تزال تحتاج إلى من يواصل هذا الجهد، الذي أسهم فيه أيضاً ديجي الرخاوي، ود. شاكر عبد الحميد.

حجم الموهبة
يرتبط السؤال الملحّ دائماً بماهية الشعر وطبيعته في كل عصر تبعاً لمستجدات هذا العصر الجديد وتطوراته، وهو أمر يُفرض حالياً إلى البحث عن هذه الماهية الشعرية في عصر ثورة المعلومات والرقميات.

ولفت الشاعر والناقد السوري مازن أكثم سليمان، لـ"العرب"، إلى أنه يُفترض أن تكون لحظة الكتابة الشعرية الأولى لحظة إبداعية ينبثق فيها النص طازجاً مبدعاً متعدد الأبعاد الفنية، ولعل هذه المسألة تتعلق بحجم الموهبة وقدرة الشاعر الذاتية على الابتكار والإبداع. وإذا كان الاشتغال على النص يعني، ربما، إعادة خلقه من جديد، فإن هذا الخلق الثاني ينبغي أن ينهض على أساس خلق أولي أصيل؛ فإذا غاب الانبثاق المبدع في البداية، نقصت الموهبة، وتراجعت المستويات الفنية والجمالية والمعرفية. ويمثل التدخل التقني والتشذيب والتعديل والعمل على النص المحاور الضرورية، مهما بلغ إبداع الشاعر،

تُخضع النص لقراءة ثانية وثالثة بصوت عال، نجد أننا نستطيع أن نصل به إلى الأفضل، ما يكسب القارئ جمالية أكبر، واستمتاعاً أكثر".

فقدان الضوابط

يوضح الشاعر اللبناني بلال المصري أن النشر الرقمي فتح الباب واسعاً أمام مختلف التجارب الشعرية، وأفرز منها العالي والنقيس دون أي ضوابط، ما أدى إلى توسعة المشهد الشعري العام، أو لنقل إن صرح التعبير انفجاراً هائلاً أحدثته الثورة الرقمية، وقد لا تنتهي آثاره على الإطلاق، مع استمرار النشر الإلكتروني، وستستمر تداعياته في خلق العيب والمجانبة، جنباً إلى جنب مع كتابات أخرى قيمة، تشكل التشظي الدائم مع استمرار حركة النشر الإلكتروني.

ويوافق بلال المصري الكاتب الروسي مكسيم غوركي الذي قال "إن الكاتب السوي مثل الكاتب الجديد يجب أن يُعرّف، بمعنى آخر، من حق الجميع التعبير عن أنفسهم وتقديم ما لديهم من كتابات، لكن اللافت في قول غوركي أنه لم يكن في عصر النشر الإلكتروني، بل قبل ذلك بكثير، ما يجعلنا نتوقف عند مسألة مهمة للغاية، وهي أن الأمر برمته لا علاقة له بالوسيلة التي نُشر بها، إنما بالكاتب نفسه، فقد نجد كتباً وريقة كثيرة من هذا الطراز الذي تحدث عنه.

في النشر الإلكتروني، المسؤولية كبيرة على المتلقي الذي يجب أن لا ينجرّف خلف المجاملات، لأنه بذلك يضر الكاتب ويضل الجمهور العام. وأغلب التعليقات تحمل الكثير من المجاملات التي لا تمت لحقيقة النص المشار إليه من خلالها، وهنا مشكلة كبيرة جداً، تعكس كماً هائلاً من النفاق الفارغ والتضليل، وخطورة النشر الإلكتروني، حيث يصبح النص الشعري رهين التعليقات والإعجابات التي تنهال عليه، دون مصداقية حقيقية تعبر عن قيمة النص.

معيار نشر القصيدة بالنسبة إلى بلال المصري هو نفسه، سواء أكان النص ورقياً أم إلكترونياً، ويقول "أقيم نصي، وأعيد تقييمه مراراً، وأحياناً أنشر النص القصير بشكل مباشر على وسائل التواصل، فقط عندما أكون متأكد من جودته".

وبحسب الناقد المصري محمد سمير عبدالسلام، فإن الكتابة الشعرية، وأي نوع من أنواع الكتابة، بما فيها النقد، لا تقع منغلقة عن علاقات القوة الثقافية والتكنولوجية، وإيقاع العصر، بالإضافة إلى الجانب الذاتي في الكتابة.

وإكراهاته، فإن استسهال كتابتها يبقى فعلاً مستهجناً، ويستلزم اقتراباً نقدياً أكثر صرامة، خصوصاً تحت تأثير ما أفرزته الثورة الرقمية وتداعياتها المذهلة في سيرتنا اليومية بمختلف تجلياتها الاجتماعية والثقافية".

كان للانتشار السريع للهواتف الذكية وتطبيقاتها المذهلة وتنامي الحضور القوي لوسائل التواصل الاجتماعي دور كبير في خلخلة الرؤية إلى العالم والعلاقات الإنسانية، وأصبحت الحياة مدموغة بسطوة الافتراض واقتضائه، ولم تكن الكتابة الإبداعية بشكل عام والشعر خاصة بمنأى عن هذا التأثير بمحبيته، السلبي والإيجابي.

وأشار الشنتوف إلى أنه صار من المألوف أن تطرنا صفحات الفيسبوك بطوفان من النصوص المصنفة شعراً، وتفكر إلى أدنى مقومات الشعرية، حيث أصبح استسهال النشر على جدران الفضاء الأزرق قاعدة في ظل غياب وانحسار وشمالية النشر التقليدي ثقافية، وهنا تُطرح إشكالية كون الشاعر لمراجعة أو تنقيح نصوصه قبل نشرها رقمياً، وكان قديماً يُلحق على هذه العملية مصطلح "التحكك".

يعتقد الناقد المغربي، أنه يمكن للثورة الرقمية وكشوفاتها أن تسعف الشعر بتحقيق وضمان انتشار أفضل، شريطة الابتعاد عن الإسفاف والضحالة والعجلة والإدعاء، والشاعر الحقيقي هو الذي يعي قيمة ما يبدعه، ويحترم القارئ، ولا يمكنه إلا الركون إلى الأناة وإخضاع نصوصه للتنقيح والمراجعة قبل نشرها في الفضاء الأزرق أو غيره من الوسائط الرقمية.

وفي رأي الشاعرة الفلسطينية ابتسام أبوسعدة، فإن مواقع التواصل الاجتماعي أصبحت منصة للكثيرين ممن يمتلكون موهبة الكتابة ومن يحترفونها، ومن أيضاً لا يفقهون عنها شيئاً، فقد أصبحت مكاناً للعرض والقراءة وللوصول الأسرع إلى القارئ، فنجد القصائد والنصوص النظرية والومضات الإبداعية والخواطر، وكل يختلف في طريقة عرضه وكتابته ورؤيته، ونجد الكثير من النصوص العفوية أو وليدة اللحظة التي لم تخضع للتنقيح بعد.

وتؤكد أبوسعدة، لـ"العرب"، أن هذه النصوص هي الأصغر، "بعد تجربة ثلاثة دواوين، أدرك جيداً أن التنقيح والتشذيب والحذف بعد الدفقة الأولى يُكسب النص نضجاً وقراءة أفضل بكثير عما كان عليه النص في الوهلة الأولى، لأننا نتخلص ساعته من الحشو الزائد والزخارف التي تنقص من جودة النص، لهذا عندما

غيّرت الثورة التكنولوجية أدوات الكتابة من الورقة والقلم إلى الكتابة على الشاشة عبر مفاتيح رقمية، كما سهلت وسائل التواصل الاجتماعي نشر النصوص الأدبية ولاسيما الشعر، حيث صار الشعراء ينشرون قصائدهم طازجة مباشرة بعد لحظة الإبداع، لكن هذا وإن كان نوعاً من التفاعل المباشر مع القراء، فإنه يخفي الكثير من العثرات، خاصة في غياب التنقيح والتعديل اللازمين لكل نظم شعري، حيث لا كتابة رصينة دون محو وتعديل.

وأسهم النشر الرقمي عبر مواقع الإنترنت وصفحات السوشيال ميديا وغيرها في انتشار النصوص العربية المختزلة، تحت مسميات متنوعة، من قبيل: قصيدة الومضة، الشعر المضغوط، قصيدة النانو، الهايكو العربي، وغيرها من الأنساق التي ظهرت وقتاً في بادئ الأمر، ثم تضاعف حضورها في الفضاء الإلكتروني، خصوصاً بعد انتشار التصفح عبر الشاشات الصغيرة، الموبايل، والتابلت، أجهزة كندل، التي يناسبها المحتوى المختف.

مثل هذه الصيغ الشعرية، وغيرها، المتكئة على الوميض البرقي الأخاذ، واستلاب الحواس من النظرة الأولى، مالت أكثر إلى اعتماد الفلسفة الرجالية في الإبداع، ومبادئ الداعي الحر لدى السورباليين، حيث الإنجاز العفوي المباشر للأفكار والخواطر، والتعبير عن الحالة من غير تهئية مسبقة ودون تنقيح أو إعادة صياغة، واقرن ذلك التوجه باستخدام الشاعر الكيبورد لتأليف نصوصه وبثها لحظياً بشكلها النهائي. وتران هذه النصوص الشعرية على الطزاجة والانفلات من الأطر الجاهزة ورفض الخلطات المعدة سلفاً، وحققت سهولة حقيقية أضعفت الشعر وانتشلتها من جموده، لكن الإسهاب في تداعيات اللاوعي والانتقالات غير المنقودة قد يقود في بعض الأحيان إلى ما سُمّاه قديماً الناقد محمد مندور "الطرطشة العاطفية"،

بمعنى الإفراط في التهويم والانزلاق إلى أمور فرعية، فتتوه القصيدة وتضع بؤرتها الضوئية المشعة، وحتى إن كانت ذات كلمات محدودة، فإنها تفقد تركيزها وتأثيرها.

رفعت مواقع الإنترنت والسوشيال ميديا أسهم الإبداع اللحظي والقصائد الخاطفة على حساب الذهنيات المتكسمة، وهنا تزداد أهمية تفهم أين تكمن حيوية الشعر الموجودة بذاتها، وكيف يمكن للشعراء الجدد استثمار وقود الدفقة الأولى البريئة من دون التشتت في انحرافات وانحرافات عن المسار.

يرى الكاتب والناقد المغربي عبدالمنعم الشنتوف، أن الإبداع الشعري لا يمكن تمثله إلا بوصفه كيمياء رائعة تتخلق من تفاعل ذي طبيعة مركبة ومعقدة للذات مع أشياء وفواهر للحياة والوجود.

ويقول في تصريح لـ"العرب"، "باعتبار ذلك، يكون خلق القصيدة أشبه بمخاض مدموغ جرعات من المعاناة واللذة في آن. وحيث إن القصيدة تتأسس على وسيط اللغة وتستثمر التخيل بوصفه حديساً بالعالم الممكنة وانزياحاً عن الواقع الإلكتروني.

شريف الشافعي
كاتب مصري

تجته الكتابة الشعرية الجديدة في أغلب نماذجها إلى أن تكون وليدة لحظتها، متمردة على الهندسة الصارمة، ومتوسلة السيولة والعفوية والبكارة والنزعة الطفولية، وهي ملاحم مقترنة عادة بالكتابة الأولية، التي تأتي متدفقة قبل التشذيب والتنقيح والتدخل الحاسبي، خصوصاً مع انتشار البث الإلكتروني، وضخ النصوص مباشرة بعد كتابتها على صفحات السوشيال ميديا.

ومع توجّه بعض هذه النصوص ورهافتها، فإن هذه الكتابة الأولى المغفلتة، في الكثير من وجوهها، قد تشوبها التزرة، بالرغم من قصرها، والمجانبة، والتهويم العاطفي، والفيوضات المتداعية خارج كثافة اللحظة المرجوة وفرادتها، الأمر الذي قد يقتضي أحياناً المراجعة، والتدخل الذهني الواعي، ربما بقسوة، بالحذف والمحو والاشتغال والتعديل.

النشر الرقمي

في ضوء عدم وجود اتفاق على جوهر العملية الشعرية وماهيتها وميكانيزماتها، يتجدد السؤال: أين تكمن حيوية الشعر، وماذته الخام، في المقام الأول؛ وإلى أي مدى أثر النشر الرقمي عبر الإنترنت ووسائل التواصل الاجتماعي على هذه الثنائية المركبة في توازنات القصيدة المتارجحة بين:

**شعراء ونقاد لـ"العرب":
الحالة الشعرية كيمياء
معقدة أعمق مما يطرحه
طوفان وسائل التواصل**

شطحات الدفقة الأولى، وآليات الاشتغال؛ انتابت الطرق التقليدية للكتابة تغيرات كثيرة في عصر الرقمية وثورة المعلومات ووسائل النشر الحديثة ووسائل الاتصال المتطورة، وإلى جانب التحولات التي شهدتها فنون وأداب راسخة فتحت صدها للأصداق الرقمية مثل الشعر والقصة والرواية، ظهرت الوان مبتكرة تلامح مرحلة ما بعد الورق، وهي التي تدرج في إطار الأدب التفاعلي الإلكتروني.



انتهى زمن الورقي (لوحة للفنان وائل المرعب)